



تحليل سياسات

# الولايات المتحدة الأميركية واتفاق الإطار مع إيران: الدوافع والمكاسب والأثمان

أسامة أبو ارشيد | أبريل 2015

مشهد الولايات المتحدة الأميركية واتفاق الإطار مع إيران: الدوافع والمكاسب والأثمان

سلسلة: تحليل سياسات

أسامة أبو ارشيد | أبريل 2015

جميع الحقوق محفوظة للمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات © 2015

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات مؤسسة بحثية عربية للعلوم الاجتماعية والعلوم الاجتماعية التطبيقية والتاريخ الإقليمي والقضايا الجيوستراتيجية. وإضافة إلى كونه مركز أبحاث فهو يولي اهتماماً لدراسة السياسات ونقدها وتقديم البدائل، سواء كانت سياسات عربية أو سياسات دولية تجاه المنطقة العربية، وسواء كانت سياسات حكومية، أو سياسات مؤسسات وأحزاب وهيئات.

يعالج المركز قضايا المجتمعات والدول العربية بأدوات العلوم الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية، وبمقاربات ومنهجيات تكاملية عابرة للتخصصات. وينطلق من افتراض وجود أمن قومي وإنساني عربي، ومن وجود سمات ومصالح مشتركة، وإمكانية تطوير اقتصاد عربي، ويعمل على صوغ هذه الخطط وتحقيقتها، كما يطرحها كبرامج وخطط من خلال عمله البحثي ومجمل إنتاجه.

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

شارع رقم: 826 - منطقة 66

الدفنة

ص.ب: 10277

الدوحة، قطر

هاتف: +974 44199777 | فاكس: +974 44831651

[www.dohainstitute.org](http://www.dohainstitute.org)

## المحتويات

2	مقدمة
3	أهم بنود الاتفاق
4	التنازلات الإيرانية
4	التنازلات الأميركية
5	الدوافع الأميركية
5	1. الأسباب الذاتية
7	2. الأسباب الموضوعية
10	المكاسب الأميركية المرتجاة
12	المخاوف والأثمان
13	خلاصة

## مقدمة

بعد مفاوضات ماراثونية، على مدى ثمانية أيام بسويسرا في لوزان، تمكّنت القوى العالمية 5 + 1 (الولايات المتحدة، وروسيا، وبريطانيا، وفرنسا، والصين، إضافةً إلى ألمانيا) من التوصل إلى اتفاق إطار مع إيران بشأن برنامجها النووي. وبموجب الاشتراطات الأميركية، كان ينبغي أن يكون الموعد النهائي للتوصل إلى ذلك الاتفاق في الحادي والثلاثين من آذار/ مارس 2015، غير أنّ صعوبة المفاوضات وتعقيدها أجّلت التوصل إليه حتى الثاني من نيسان/ أبريل 2015. وعلى الرغم من أنّ الرئيس الأميركي، باراك أوباما، كان قد حذّر من أنّ مهلة آخر آذار/ مارس هي الأخيرة للتوصل إلى اتفاق الإطار<sup>1</sup>، كشرط أساسي بالنسبة إلى الاتفاق النهائي المفترض في آخر حزيران/ يونيو 2015، فإنّه وافق على تمديد المفاوضات مدّة يومين، وهو أمرٌ يعكس أنّ إدارته تُولي المفاوضات النووية مع إيران أهميةً كبيرةً. وغنيٌّ عن التذكير في هذا السّياق بأنّ المفاوضات كانت في المقام الأول أميركية - إيرانية.

دفع الإصرار الأميركي على نجاح المفاوضات بعض خصوم الإدارة إلى اتهامها بأنها فاوضت من منطلق يأسٍ، وبأنها أرادت التوصل إلى اتفاق مع إيران بأيّ ثمنٍ كان<sup>2</sup>. وفعلاً، فإنّ اتفاق الإطار ما كان ليتمّ لولا تقديم الطرفين، الأميركي والإيراني، تنازلات متبادلةً عن مواقفهما المعلنة سابقاً، وهذا ما يُفضي إلى التساؤل عن حقيقة الدوافع الأميركية المتعلقة بالاتفاق، والمكاسب التي ترتجىها إدارة أوباما من ورائه، والمخاوف والأثمان التي قد تترتب على مثل هذا الاتفاق بالنسبة إلى أميركا. غير أننا سنعرض قبل ذلك كلّه، أهمّ تفاصيل الاتفاق.

---

<sup>1</sup> Carol Morello, "Iran talks to be extended another day", *The Washington Post*, 1/ 4/ 2015, at: [http://www.washingtonpost.com/world/negotiators-prepared-to-start-drafting-preliminary-agreement-on-iran-talks/2015/04/01/b0e8646a-d7e8-11e4-bf0b-f648b95a6488\\_story.html?hpid=z1](http://www.washingtonpost.com/world/negotiators-prepared-to-start-drafting-preliminary-agreement-on-iran-talks/2015/04/01/b0e8646a-d7e8-11e4-bf0b-f648b95a6488_story.html?hpid=z1)

<sup>2</sup> Peter Baker, "A Foreign Policy Gamble by Obama at a Moment of Truth", *The New York Times*, 2/ 4/ 2015, at: [http://www.nytimes.com/2015/04/03/world/middleeast/a-foreign-policy-gamble-by-obama-at-a-moment-of-truth.html?hp&action=click&pgtype=Homepage&module=a-lede-package-region&region=top-news&WT.nav=top-news&\\_r=0](http://www.nytimes.com/2015/04/03/world/middleeast/a-foreign-policy-gamble-by-obama-at-a-moment-of-truth.html?hp&action=click&pgtype=Homepage&module=a-lede-package-region&region=top-news&WT.nav=top-news&_r=0)

## أهم بنود الاتفاق

يقوم اتفاق الإطار على فرضية كبح البرنامج النووي الإيراني مدة عشر سنوات على الأقل، وذلك في مسعى لتهدئة المخاوف الغربية والإسرائيلية الناجمة عن إمكان امتلاك إيران قنبلة نووية. وإلى حين توقيع الاتفاقية النهائية المفترضة، أواخر حزيران/ يونيو 2015، سترفع عن إيران، بالتدريج، بعض العقوبات الاقتصادية الأمريكية والأميركية والأوروبية المتعلقة ببرنامجهما النووي؛ وذلك بمقدار التزامها ببنود اتفاقية الإطار. غير أن العقوبات ستبقى سارية المفعول إلى حين توقيع الاتفاق النهائي<sup>3</sup>.

واستناداً إلى تقرير أميركي، من أربع صفحات، يوضح طبيعة الاتفاق وحقائقه، ستتوقف إيران عن تشغيل أكثر من ثلثي أجهزتها من الطرد المركزي التي يُمكنها إنتاج يورانيوم ذي تخصيب عالٍ من الممكن استخدامه في صنع قنبلة نووية. ويتضمن اتفاق الإطار قيوداً على تخصيب إيران لليورانيوم مدتها عشر سنوات على الأقل. وبحسب التقرير الأميركي، وافقت إيران على خفض ما لديها من أجهزة طرد مركزي إلى 6104 من أصل 19 ألف جهاز، وعلى تشغيل 5060 جهازاً فقط طوال تلك السنوات العشر. وخلال هذه الفترة، سيُسمح لإيران بتشغيل أجهزة الطرد المركزي من الجيل الأول فقط. وقد قبلت إيران، بحسب التقرير الأميركي، بتقييد الأبحاث وأعمال التطوير النووية؛ إذ ورد في نصّ ذلك التقرير "وافقت إيران على عدم إجراء أبحاث وأعمال تطويرية مرتبطة بتخصيب اليورانيوم في منشأة "فوردو" على امتداد 15 عاماً". وتُعدّ هذه القضية من أهمّ القضايا التي كانت تثير خلافات بين الطرفين.

وأشار التقرير أيضاً إلى أنّ إيران ستزيل أجهزة الطرد المركزي من الجيل الثاني المركّبة حالياً في منشأة "نطنز" التي يبلغ عددها 1000 جهاز، وأنها ستضعها قيد التخزين، بمراقبة الوكالة الدولية للطاقة الذرية طوال عشر سنوات. وجاء في التقرير أنّ إيران وافقت على عدم تخصيب اليورانيوم الذي يفوق معدله 3.67% طوال 15 عاماً على الأقل، وأنها وافقت أيضاً على تقليص مخزون اليورانيوم المنخفض التخصيب البالغ عشرة آلاف كيلوغرام إلى 300 كيلوغرام، بنسبة 3.67% مدّة 15 عاماً. وأشار التقرير كذلك إلى موافقة طهران على عدم

<sup>3</sup> Louis Charbonneau & Stephanie Nebehay, "Iran, world powers reach initial deal on reining in Tehran's nuclear program", *Reuters*, 2/ 4/ 2015, at: <http://www.Reuters.com/article/2015/04/02/us-iran-nuclear-idUSKBN0MQ0HH20150402>

بناء أي منشآت جديدة لتخصيب اليورانيوم طوال 15 عامًا. وأضاف أنّ عمليات التفتيش القوية لسلسلة إمداد اليورانيوم في إيران ستدوم 25 عامًا. ويوضح التقرير الأمريكي أيضًا أنّ إيران وافقت على إعادة بناء مفاعل "آراك" الذي يعمل بالماء الثقيل، ومن ثمة لا يكون منتجًا للبلوتونيوم الذي يمكن أن يستخدم في صنع الأسلحة النووية.

وقال التقرير الأمريكي إنّ الإخفاق في التقيد بنود الاتفاق سيتسبب بـ "إعادة سريعة لسريان" العقوبات الأمريكية والأوروبية. وبدا التقرير أقلّ تحديدًا في ما يتعلق بعقوبات الأمم المتحدة - وهي إحدى النقاط الشائكة الرئيسة في المفاوضات - مع اكتفائه بالقول إنّه قد يعاد فرضها إن لم تلتزم إيران بنود الاتفاق<sup>4</sup>.

### التنازلات الإيرانية

توضح البنود السابقة أنّ إيران قدّمت تنازلات كبيرة، خصوصًا في ما يتعلق بخفض أجهزة الطرد المركزي العاملة، كما أنها قبلت بقيود زمنية بشأن تطوير برنامجها وقدرتها النووية تصل إلى خمسة وعشرين عامًا، وبخفض نسبة تخصيب اليورانيوم ومخزونها منه طوال خمسة عشر عامًا، إضافةً إلى أنّها قبلت برقابة أممية صارمة للمنشآت النووية القائمة، ثمّكن المجتمع الدولي من الحصول على إنذار قبل عام على الأقل من جاهزية إيران لصنع سلاح نووي.

### التنازلات الأمريكية

تنازلت إدارة أوباما عن شرطها الأساسي الذي وضعه الرئيس نفسه عام 2012؛ وذلك عندما قال إنّ "الاتفاق الذي سنقبله مع إيران ينبغي أن يتضمن إنهاءها لبرنامجها النووي"<sup>5</sup>. غير أنّ اتفاق الإطار لا ينصّ على تفكيك

<sup>4</sup> "Full U.S. text on preliminary nuclear accord with Iran", *Reuters*, 2/ 4/ 2015, at:

<http://www.Reuters.com/article/2015/04/02/us-iran-nuclear-text-idUSKBN0MT2CY20150402>

<sup>5</sup> "October 22, 2012 Debate Transcript", Commission on Presidential Debates, 22/ 10/ 2012, at:

<http://debates.org/index.php?page=october-22-2012-the-third-obama-romney-presidential-debate>

منشأة إيرانية نووية واحدة، بما في ذلك منشأة "فوردو"<sup>6</sup>. بمعنى أن إيران ستبقى محتفظةً ببنياتها النووية التحتية، وهو ما قد يعني تحويلها إلى قوة نووية، على نحوٍ آليٍّ، بعد عشر سنوات على الأقل؛ وذلك بعد أن تتقضي مدة القيود الكثيرة المفروضة على برنامجها. يُضاف إلى ذلك أن إدارة أوباما وافقت على خفض مخزون إيران من اليورانيوم المخصب، وليس على شحنه خارج إيران، كما كانت تصرّ إدارته على ذلك من قبل<sup>7</sup>.

وعلى الرغم من أن أوباما وصف الاتفاق بأنه "اتفاق جيد"<sup>8</sup>، فإن هذا الاتفاق يظلّ في كثير من تفاصيله غامضاً؛ إذ يقول تقرير الحقائق الأميركي مثلاً إن العقوبات الأميركية والأوروبية "سوف تُعلّق بعد أن يُؤكّد" المفتشون الدوليون أن إيران قد التزمت كلّ الشروط النووية المتعلقة بها". غير أن ذلك الاتفاق لا يوضح هذه الشروط، ولا يبيّن الطرائق التي يُمكن اعتمادها في التحقق من الالتزام الإيراني.

## الدوافع الأميركية

أثارت التنازلات الأميركية السابقة تساؤلات عديدةً متعلّقةً بدوافع إدارة أوباما للقبول بمثل هذا الاتفاق الذي لا يُلبّي المعايير التي كانت الإدارة نفسها هي التي وضعتها من قبل. ويمكن تقسيم الأسباب التي تقف وراء قرار إدارة أوباما المتمثّل بالقبول بهذا الاتفاق إلى أسباب ذاتية تتعلق بالرئيس أوباما نفسه، وأسباب أخرى موضوعية.

### 1. الأسباب الذاتية

يمكن تلخيص أهمّ هذه الأسباب في ما يلي:

● تجاوزت رئاسة أوباما ستّ سنوات من دون أن يكون في السياسة الخارجية الأميركية إنجازٌ مميّز، ومن ثمة يمكن أن تكون إيران مدخل أوباما إلى ذلك<sup>9</sup>، ولا سيما أنّ له "قائمة من الإخفاقات في السياسة الخارجية"<sup>10</sup>.

<sup>6</sup> Editorial Board, "Obama's Iran deal falls far short of his own goals", *The Washington Post*, 2/ 4/ 2015, at: [http://www.washingtonpost.com/opinions/obamas-iran-deal-falls-well-short-of-his-own-goals/2015/04/02/7974413c-d95c-11e4-b3f2-607bd612aeac\\_story.html?hpid=z9](http://www.washingtonpost.com/opinions/obamas-iran-deal-falls-well-short-of-his-own-goals/2015/04/02/7974413c-d95c-11e4-b3f2-607bd612aeac_story.html?hpid=z9)

<sup>7</sup> Ibid.

<sup>8</sup> Jordan Fabian, "Obama hails 'historic' Iran deal", *The Hill*, 2/ 4/ 2015, at:

<http://thehill.com/homenews/administration/237747-obama-hails-historic-iran-nuke-deal>

<sup>9</sup> Peggy Noonan, "Misplaying America's Hand With Iran", *The Wall Street Journal*, 2/ 4/ 2015, at:

<http://www.wsj.com/articles/peggy-noonan-misplaying-americas-hand-with-iran-1428019612>

<sup>10</sup> Baker.

فحتى إشرافه على الانسحاب الأميركي من العراق أواخر عام 2011، وقد عدّه أكبر إنجاز في سياسة إدارته الخارجية، قد انتهى إلى إخفاقٍ ذريع، مع عودة الولايات المتحدة إلى ذلك البلد في أيلول/سبتمبر 2015 لمحاربة "تنظيم الدولة الإسلامية". والأمر نفسه يقال في قراره تأخير انسحاب القوات الأميركية كلياً من أفغانستان أواخر عام 2016<sup>11</sup>، في ظلّ تصاعد هجمات حركة طالبان وعجز الحكومة الأفغانية المدعومة من الغرب عن التصدي لها. علاوةً على ذلك، تراقب إدارة أوباما انتشار العنف والفوضى في الشرق الأوسط، كما هو الشأن في ليبيا، وسورية، واليمن. ثمّ إنّ إدارته، بدلاً من أن تقضي على خطر تنظيم "القاعدة"، تحارب فروعها الكثيرة المنتشرة في الشرق الأوسط وأفريقيا، فضلاً عن "تنظيم الدولة". يُضاف إلى ذلك أنّ الولايات المتحدة دخلت أثناء رئاسته في "حرب باردة" جديدة مع روسيا من خلال أوكرانيا.. إلخ.

وبحسب الخبير الأميركي كليف كوشان، فإنّ "من شأن الاتفاق مع إيران، زيادةً على ما قد يترتب عليه من تحولات سياسية في الشرق الأوسط، أن يكون أهمّ إرث في مجال السياسة الخارجية لأيّ رئيس في دورته الأخيرة. وهكذا، فإنّ الاتفاق مع إيران يعني كثيراً لأوباما؛ ذلك أنّه ليس لديه شيء آخر. فالأمر بالنسبة إليه، إمّا كلّ شيء أو لا شيء"<sup>12</sup>. وما يرجّح ذلك تأكيدات مساعدين كثيرين له ملخّصها أنه كان منخرطاً إلى حدّ كبير في المفاوضات مع إيران وتفاصيلها<sup>13</sup>. فالمفاوضات مع هذا البلد هي مفاوضات شخصية بالنسبة إليه، كما أنها قد تكون واحدةً من أخطر رهانات رئاسته.

• يؤمن أوباما بأنّ القوة العسكرية الأميركية ليست بالضرورة هي الحلّ لكلّ المشكلات والتحديات التي تواجه الولايات المتحدة. فقد قال مخاطباً خصوم الولايات المتحدة خلال حفل تنصيبه الرئاسي عام 2009: "سنمدّ أيدينا لكم إذا كنتم على استعداد لإرخاء قبضتكم"<sup>14</sup>. فهو مديّن في وصوله إلى سدّة الرئاسة الأميركية، إلى حدّ

<sup>11</sup> Michael D. Shear & Mark Mazzetti, "U.S. to Delay Pullout of Troops From Afghanistan to Aid Strikes", *The New York Times*, 24/ 3/ 2015, at:

[http://www.nytimes.com/2015/03/25/world/asia/ashraf-ghani-of-afghanistan-wants-us-troops-to-stay-longer.html?\\_r=0](http://www.nytimes.com/2015/03/25/world/asia/ashraf-ghani-of-afghanistan-wants-us-troops-to-stay-longer.html?_r=0)

<sup>12</sup> Baker.

<sup>13</sup> Greg Jaffe, "Why Obama chose the Iran talks to take one of his presidency's biggest risks", *The Washington Post*, April 1, 2015, at:

[http://www.washingtonpost.com/politics/why-obama-chose-the-iran-talks-to-take-one-of-his-presidencys-biggest-risks/2015/04/01/403b7a06-d7af-11e4-ba28-f2a685dc7f89\\_story.html](http://www.washingtonpost.com/politics/why-obama-chose-the-iran-talks-to-take-one-of-his-presidencys-biggest-risks/2015/04/01/403b7a06-d7af-11e4-ba28-f2a685dc7f89_story.html)

<sup>14</sup> "President Barack Obama's Inaugural Address", The White House Blog, 21/ 1/ 2009, at:

<https://www.whitehouse.gov/blog/inaugural-address>



كبير، بمعارضته الحرب في العراق، ولا سيما أنّ هذا البلد كان بالنسبة إلى الأميركيين بمنزلة "مستنقع وحلٍ". وبحسب قناعاته، فإنّ "الاشتباك" الدبلوماسي مع خصوم الولايات المتحدة أفضل كثيرًا من العقوبات والعزلة التي لا نهاية لها<sup>15</sup>. وبناءً على ذلك، قامت إدارته بانفتاح على كلّ من بورما، وكوبا، وإيران. ويقول أوباما إنّ أميركا، إضافةً إلى قوتها الساحقة، تحتاج إلى بعض الثقة بالنفس لاتخاذ مبادرات دبلوماسية محسوبة، كما هو الشأن في محاولة التوصل إلى اتفاقٍ مع إيران<sup>16</sup>.

## 2. الأسباب الموضوعية

يمكن تلخيص هذه الأسباب في ما يلي:

● الخيار الأفضل: إنّ التوصل إلى اتفاق مع إيران يكبح جماح برنامجها النووي، ويمنعها من الحصول على سلاح نووي، يعدُّ بحسب أوباما خيارًا أفضل من "المخاطرة بحرب جديدة في الشرق الأوسط"<sup>17</sup>. ويقول أوباما إنّ ثمة ثلاثة خيارات في التعامل مع البرنامج النووي الإيراني. فالخيار الأول هو "اتفاق قويّ، ويمكن التثبيت منه كـ 'هذا' " يؤدي إلى "منع إيران سلميًا من الحصول على سلاح نووي". أمّا الخيار الثاني فيتمثّل "بقصف المنشآت النووية الإيرانية، ومن ثمة نبدأ حربًا جديدة في الشرق الأوسط، ونؤخّر برنامج إيران بضع سنين، بكلمات أخرى نؤخّره إلى المدة الزمنية نفسها التي سيؤخرها هذا الاتفاق". ويضيف أوباما إنّ قصف المنشآت النووية الإيرانية ستعني "أننا نكون قد ضمنا أنّ إيران ستسرع إلى محاولة بناء قنبلة نووية"؛ لحماية نفسها مستقبلاً من هجمات مماثلة. وأمّا الخيار الثالث، فهو أن "تسحب من المفاوضات، ونحاول دفع الدول الأخرى إلى مواصلة العقوبات الاقتصادية تجاه إيران، وأن نتمنى تحقيق نتائج أفضل"، وفي هذه الحالة ستواصل إيران بناء بنيتها النووية التحتية كما فعلت ذلك على امتداد عقدين من الزمن. وخلص أوباما إلى أنّ خيار الاتفاق عبر

<sup>15</sup> Thomas L. Friedman, "Iran and the Obama Doctrine", *The New York Times*, 5/ 4/ 2015, at: <http://www.nytimes.com/2015/04/06/opinion/thomas-friedman-the-obama-doctrine-and-iran-interview.html>

<sup>16</sup> Ibid.

<sup>17</sup> "Statement by the President on the Framework to Prevent Iran from Obtaining a Nuclear Weapon", The White House, Office of the Press Secretary, 2/ 2/ 2015, at: <https://www.whitehouse.gov/the-press-office/2015/04/02/statement-president-framework-prevent-iran-obtaining-nuclear-weapon>

التفاوض مع إيران هو "أفضل خيار"، وقال: "إذا أدى اتفاق الإطار إلى اتفاق شامل ونهائي، فسيجعل هذا الاتفاق بلدنا، وحلفاءنا، وسائر العالم، أكثر أمنًا"<sup>18</sup>.

من الناحية العملية، وبناءً على التجربة الأمريكية السابقة مع إيران، لم يؤدِّ برنامج العقوبات الصارم إلى تعطيل البرنامج النووي الإيراني. ومن ثمة لم يكن لإدارة أوباما إلا المفاوضات أو حرباً لا تريدها ذات تكلفة باهظة وتداعيات غير مأمونة العواقب. ويبدو أنّ أوباما تعلّم من خطأ إدارة جورج بوش الابن عام 2003؛ وذلك عندما تقدمت حكومة الرئيس محمد خاتمي إلى إدارة بوش بعرض للتفاوض في البرنامج النووي الإيراني، فكان أن رفضته إدارة بوش بناءً على تقييمها لإيران. فلقد عدّت هذا البلد ضعيفاً، ورأت أنه إزاء خيارين. فإمّا أن يستسلم، وإمّا أن ينهار<sup>19</sup>. فما الذي ترتب على رفض إدارة بوش ذلك العرض الإيراني؟

في عام 2003، كان لدى إيران 164 جهاز طرد مركزي، واليوم لديها 19000<sup>20</sup>. ولولا اتفاقية جنيف، لوصلت إيران تطوير برنامجها النووي حتى في حال وجود عقوبات اقتصادية. فهذه العقوبات كانت قائمة عام 2003، وعلى الرغم من ذلك تطوّر البرنامج النووي الإيراني. وإذا أصبح نظام العقوبات أقسى ممّا كان عليه سابقاً، فإنّ إيران لم تعدم طرائق تحتال بها عليه.

● إعادة تعريف الأولويات الخارجية: مازال أوباما يأمل أن يتمكن من حزف تركيز السياسة الخارجية الأمريكية في "آسيا المحيط الهادئ" التي تُمثّل ثقل التجارة الخارجية الأمريكية، وتشهد تصاعداً ملحوظاً فيها لقوة الصين، على نحوٍ يُشكّل تحدياً للهيمنة الأمريكية. وكانت إدارة أوباما أعلنت في آذار/ مارس 2012 "الإستراتيجية الأمريكية الدفاعية الجديدة" التي جعلت تلك المنطقة مجالاً لتركيزها الجيوستراتيجي<sup>21</sup>. ولكن بما أنّ الولايات المتحدة قد استنزفتها أزمات كثيرة في أماكن كثيرة من العالم، من بينها أزمات الشرق الأوسط، فقد أضعفت

<sup>18</sup> Ibid.

<sup>19</sup> Glenn Kessler, "In 2003, U.S. Spurned Iran's Offer of Dialogue", *The Washington Post*, 18/ 6/ 2006, at: <http://www.washingtonpost.com/wp-dyn/content/article/2006/06/17/AR2006061700727.html>

<sup>20</sup> Fareed Zakaria, "A nuclear deal with Iran is the best option", *The Washington Post*, 2/ 4/ 2015, at: [http://www.washingtonpost.com/opinions/a-nuclear-deal-with-iran-is-the-best-option/2015/04/02/bc8292d2-d978-11e4-8103-fa84725dbf9d\\_story.html?hpid=z8](http://www.washingtonpost.com/opinions/a-nuclear-deal-with-iran-is-the-best-option/2015/04/02/bc8292d2-d978-11e4-8103-fa84725dbf9d_story.html?hpid=z8)

<sup>21</sup> David Alexander & Phil Stewart, "New Pentagon strategy stresses Asia, cyber, drones", *Reuters*, 5/ 1/ 2012, at:

<http://www.Reuters.com/article/2012/01/05/us-usa-military-obama-idUSTRE8031Z020120105>

قدرتها التنافسية مع الصين. لذا، فهي تحاول ترتيب أوراقها الدولية الأخرى، وضمنها الملف النووي الإيراني، في أفق ينسّم بالتفرغ لمنطقة آسيا والسعي لاحتواء النفوذ الصيني المتصاعد.

● الإرهاق الأميركي من جزاء المغامرات العسكرية: من الأمثلة الدالة على ذلك استهزاء بن رودس، نائب مستشار الأمن القومي الأميركي، برأي المعارضين الأميركيين، في الكونغرس تحديداً، في ما يتعلّق باتفاق الإطار مع إيران؛ وذلك من خلال قوله: "لا يبدو أنّ النقاشات المتعلقة بالشرق الأوسط تستحضر أنّ حرباً في العراق قد وقعت"، وقوله: "مازلنا نرى توجّهاً غريباً نحو الحلول العسكرية كما لو أنها كانت العلامة الوحيدة على جدية أميركا"<sup>22</sup>.

وتذكّرنا تصريحات رودس بأنّ أوباما انتُخب رئيساً للولايات المتحدة أواخر عام 2008، على أساس برنامجٍ تعهّد فيه بوضع حدٍّ للمغامرات العسكرية الأميركية التي ميّزت عهد سلفه، بوش، وتحديداً في أفغانستان والعراق، والتي كلفت الخزينة الأميركية أموالاً طائلةً تسببت بإغراق الولايات المتحدة في ديون كبيرة جداً. وهكذا سعت السياسة الأميركية الخارجية تحت إدارة أوباما لتقليل عسكريتها، ومالت أكثر فأكثر إلى التعاون الدولي، والعمل عبر أطر دولية وأخرى حليفة، بدلاً من العمل المنفرد. وأكد أوباما أكثر من مرّة أنّ الدبلوماسية عبر التحالفات والأطر الدولية ستكون هي خياره المفضل في التعامل مع الأزمات الدولية، وذكر من اتهمه بالسذاجة بسبب ثقته بإيران في المفاوضات، بأنّ الرئيسين السابقين، ريتشارد نيكسون ودونالد ريغان وقّعوا اتفاقات تحدّ من التسلّح مع الاتحاد السوفياتي الذي كان "خصماً أكثر خطورة"<sup>23</sup>.

● إيران لن تقبل بالتنازل عن مصدر فخر واعتزاز وطني لها: من بين الحجج الأخرى التي قدّمها أوباما لتسوية قراره المتمثّل بالتفاوض مع إيران وقبوله باتفاق إطار لا يُلبي المعايير التي وضعتها إدارته من قبل، أنّ البرنامج النووي الإيراني أصبح مصدر فخر واعتزاز قومي إيراني، يُجمع عليه "المتشدّون" و"المعتدلون الإصلاحيون". وبحسب أوباما، فإنّ بلدًا صمد ثمانية أعوام في حربه ضدّ العراق، وكابد مليون قتيل، سيكون ذا قدرة كافية لتحمل أيّ مشاق في سبيل مسألة يعدها "فخرًا وطنياً"<sup>24</sup>.

<sup>22</sup> Jaffe.

<sup>23</sup> "Statement by the President..".

<sup>24</sup> Friedman.

في هذا السياق، حريٌّ بنا التذكير بقراءة أميركية ترى أنّ فوز الرئيس الإيراني، حسن روحاني، في حزيران/ يونيو 2013، لم يكن ليتيم لو لم يسمح المرشد الأعلى، علي خامنئي، لروحاني بالترشح؛ ضمن محاولة الانقطاع عن سياسات الرئيس السابق، أحمددي نجاد، المتشددة<sup>25</sup>. مع ضرورة ملاحظة ما كُشف عنه من لقاءات أميركية - إيرانية سرية كانت تُجرى في عُمان منذ آذار/ مارس 2013؛ أيّ منذ رئاسة نجاد، وهو ما مكّن من سرعة التوصل إلى اتفاقية مرحلية مدتها 6 أشهر بجنيف في أواخر عام 2013<sup>26</sup>، وإنّ ذلك يعني أنّ قرار التفاوض مع أميركا إنما هو قرار نظام، وليس قرار رئيس. غير أنّ هذا لا ينفى أنّ انتخاب روحاني، المصنّف غريباً "معتدلاً" إلى حدّ ما، سهّل لإدارة أوباما الإسراع في وتيرة المفاوضات مع إيران.

تعني القراءة السابقة، أنّ الولايات المتحدة وإيران ربما وجدّا ضرورةً لتجاوز تبسيطات الأيديولوجيا في الصراع بينهما. وبالنسبة إلى إيران، فإنّ نظامها، بحسب التقديرات الأميركية، لن ينهار سريعاً، إضافةً إلى أنّها لن تتنازل عن برنامجها النووي كلّها، وأنّها غير قادرة على أن "تتعامى" عن وطأة العقوبات المفروضة عليها. يُضاف إلى ذلك أنّها استوعبت الدرس بطريقة قاسية؛ فالحفاظ على مناطق نفوذها التقليدية من دون ترتيب مع الأميركيين سيُكلّفها الكثير. أمّا بالنسبة إلى الولايات المتحدة، فإنّها أدركت أنه لا يمكن إعادة ترتيب أوراق المنطقة وتهديتها من دون مساهمة إيرانية، خصوصاً في سورية، والعراق، ولبنان، واليمن، وهو أمرٌ يُقرّ به أوباما في مقابله الأخيرة مع نيويورك تايمز<sup>27</sup>.

### المكاسب الأميركية المرتجاة

يمكن تلخيص أهمّ المكاسب التي تسعى الإدارة الأميركية لتحقيقها من خلال الاتفاق مع إيران في ما يلي:

<sup>25</sup> Suzanne Maloney, "Why Rouhani Won.. And Why Khamenei Let Him", *Foreign Affairs*, 16/ 6/ 2013, at: <http://www.foreignaffairs.com/articles/139511/suzanne-maloney/why-rouhani-won-and-why-khamenei-let-him>

<sup>26</sup> Julian Borger and Saeed Kamali Dehghan, "Secret talks helped forge Iran nuclear deal", *The Guardian*, 25/ 11/ 2013, at: <http://www.theguardian.com/world/2013/nov/24/secret-usa-iran-talks-nuclear-deal>

<sup>27</sup> Friedman.

● كبح جماح البرنامج النووي الإيراني سلمياً من دون التورط في حرب ذات تكلفة باهظة جديدة في الشرق الأوسط، وتأخير المدة الزمنية التي يمكن لإيران فيها أن تكون في وضع يُمكنها من صنع قنبلة نووية<sup>28</sup>.

● سيُخضع الاتفاق المنشآت النووية الإيرانية لبرنامج رقابة صارم وغير مسبوق. وبحسب أوباما، فإنه في حال محاولة إيران الغش والخداع، فإن الولايات المتحدة تملك قدرة ردعية كبيرة. وفي سياق هذه الحال ورد قوله: "للدفاع عن أنفسنا ولحماية حلفائنا"<sup>29</sup>. ثم إن برنامج الرقابة الدولي الصارم للبرنامج النووي الإيراني سيسمح بإنذار مبكر، مدته سنة، قبل أن تنتج إيران في إنتاج سلاح نووي. ويقول أوباما إن هذه المدة أطول ثلاث مرات من المدة الزمنية المتاحة الحالية لمعرفة إن كانت إيران على عتبات سلاح نووي. ومن ثمة، فإن على إسرائيل ألا تقلق من هذا الاتفاق، لأنه في الحصيلة في مصلحتها<sup>30</sup>.

● تطمح إدارة أوباما إلى اتفاق مع إيران يتضمن رفعا للعقوبات الاقتصادية تجاهها، قد يجعلها قوة بناءة في الشرق الأوسط. فإدارة أوباما، بحسب بيتر فيفر أستاذ العلوم السياسية في جامعة ديوك، والمسؤول السابق في إدارة جورج بوش الابن "أسيرة لرؤية تقول إن إيران من الممكن أن تكون مصدراً للاستقرار الإستراتيجي في منطقة تنهاوى"<sup>31</sup>. بل إن أوباما نفسه يؤكد ذلك بقوله: "من يدري؟ قد تتغير إيران"<sup>32</sup>. ويوضح أوباما مقارنته بطريقة أكثر وضوحاً من خلال قوله: "إن اعتقادنا، أو بالأحرى اعتقادي أنا، أننا سوف نكون في موضع أقوى لتنفيذ ذلك إذا ما انتهينا تماماً من ملف القضية النووية. وإذا استطعنا تنفيذ ذلك، فسوف يمكن لإيران، بعد الاستفادة من مكاسب تخفيف العقوبات الدولية، أن تبدأ بالتركيز في أمر اقتصادها وشعبها. فتبدأ الاستثمارات في التدفق، وتبدأ الدولة في الانفتاح على العالم. إذا ما قمنا بعمل جيد في تعزيز الإحساس بالأمن والتعاون الدفاعي بيننا وبين الدول السنية، وإذا ما تأكدنا أن الشعب الإسرائيلي يحظى بحماية تامة ليست من خلال قدراته الذاتية فقط. ولكن من واقع التزاماتنا تجاههم، من الممكن أن ترى قدرًا من التوازن في المنطقة، ويبدأ

<sup>28</sup> "Statement by the President..".

<sup>29</sup> Friedman.

<sup>30</sup> Ibid.

<sup>31</sup> Jaffe.

<sup>32</sup> Friedman.

السنة والشيعية، في القول: قد يجدر بنا تخفيف حدة التوترات والتركيز في أمر المتطرفين من شاكلة تنظيم داعش الذي يريد حرق المنطقة بأكملها إن استطاع ذلك"<sup>33</sup>.

## المخاوف والأثمان

تتمثل أبرز المخاوف الأميركية التي تُطرح بشأن هذا الاتفاق بما يلي:

● أن تمارس إيران الخداع والغش، وأن تحاول الاستفادة من رفع العقوبات الاقتصادية عنها في بناء سلاح نووي على نحوٍ سري في منشآت مجهولة. وعلى الرغم من تطمينات أوباما بقوله: "إذا رأينا شيئاً مريباً فإننا سنفتشه"<sup>34</sup>، فقد ظلّت الشكوك في ذلك قائمة، وخصوصاً في إسرائيل والكونغرس.

● أن تقوم إيران باستخدام الأموال الناتجة من رفع العقوبات في تعزيز موقعها الإقليمي عبر رعاية "الإرهاب"، وفي دعم وكلاء لها في العراق، واليمن، وسورية، ولبنان؛ لزعزعة استقرار الشرق الأوسط، وتهديد حلفاء أميركيين مثل إسرائيل.

● أن يطلق الاتفاق مع إيران الذي يُبقي على بنيتها النووية التحتية سباقاً نحو التسليح النووي في المنطقة، وخصوصاً بالنسبة إلى السعودية التي تُعدّ إيران خصماً إقليمياً وتهديداً وجودياً.

● أن يصير الكونغرس الأميركي على دور رقابي فعّال في تصديق أيّ اتفاق نهائي مع إيران، وهو الواقع عملياً الآن. فالسنا تور الجمهوري، بوب كروكر، رئيس لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ الأميركي، يزعم تقديم مشروع قانون ينص على إلزام البيت الأبيض عرض أيّ اتفاقٍ نهائيّ مع إيران على الكونغرس لتصديقه، ويُمكن الكونغرس نفسه من صلاحية الموافقة على الاتفاقية النهائية أو رفضها خلال سنتين يوماً من عرضها عليه، وهو الأمر الذي ترفضه إدارة أوباما. وعلى الرغم من أنّ أوباما يزعم استخدام حقّ النقض ضدّ هذا المشروع في حال إقراره، فمن المحتمل جداً أن يتمكن مجلس الشيوخ من تجاوز الفيتو الرئاسي بدعم أحد عشر

<sup>33</sup> Ibid.

<sup>34</sup> Ibid.

عضواً ديمقراطياً، على الأقل، غير راضين عن أسلوب الإدارة في التفاوض مع إيران<sup>35</sup>. وفي حال رفض الكونغرس الاتفاقية النهائية، فإنه لن يكون للإدارة الأميركية إلا خياران، هما:

–العودة إلى فرض عقوبات دولية وأميركية وأوروبية صارمة في حق إيران. ومن غير المتوقع، بالنسبة إلى هذا الخيار، أن تقبل أوروبا، وروسيا، والصين، بإعادة فرض عقوبات على إيران بعد أن توافقت معها على اتفاقية نهائية، خصوصاً أن الصين تطمح إلى النفط الإيراني الرخيص. ومن ثمة فإنّ التحالف الدولي، ونظام العقوبات الدولي الصارم سينهاران، وستفقد أيّ عقوبات أميركية منفردة قيمتها في الضغط على إيران وإلزامها بتقديم مزيد من التنازلات<sup>36</sup>.

–أن تسارع الولايات المتحدة إلى شنّ هجمات جوية مكثفة تقصف فيها المنشآت الإيرانية النووية، بما فيها المنشآت ذات التحصينات الشديدة المبنية تحت الجبال؛ لإرجاع البرنامج النووي الإيراني بضع سنين إلى الوراء<sup>37</sup>. وفي هذه الحال، ستضاعف إيران بذل جهدها لتطوير برنامجها النووي وصناعة سلاح نووي ردي. أضف إلى ذلك أن إيران قد تردّ، في ساحات أخرى، على الولايات المتحدة وحلفائها عبر وكلاء لها في المنطقة؛ كحزب الله والحوثيين.

## خلاصة

بناءً على المعطيات السابقة يُمكن الاتفاق مع مقاربة إدارة أوباما المتمثلة بنجاح إيران عملياً في الالتفاف على العقوبات الدولية وتطوير برنامجها النووي إلى حدّ أن أصبح هذا الأمر واقعاً، وصار من الصعب تجاوزه. فعلى الرغم من أنّ المقاربة الأميركية تجاه إيران منذ عام 1979 تتسم بالتعامل معها من منطلقٍ عدائيٍّ، وبمحاولات الاحتواء وتغيير النظام فيها؛ بالنظر إلى أنّها ترى أنّها ضلع أساسي في "محور الشر"، وتتنظر إليها على أنّها

<sup>35</sup> Burgess Everett, "Democrats prepared to buck White House on Iran nuclear deal", *Politico*, 15/ 3/ 2015, at:

<http://www.politico.com/story/2015/03/democrats-prepared-to-buck-white-house-on-iran-nuclear-deal-116088.html>

<sup>36</sup> Zakaria.

<sup>37</sup> Ibid.

تحدّ للهيمنة الأميركية المطلقة على المنطقة، فإنها لم تنجح في تحقيق محاولات احتوائها لإيران. بل إنّ تحرّش إدارة بوش بإيران بذريعة برنامجها النووي، وفرض مزيد من العقوبات القاسية عليها، لم تُؤدّ إلى كبح جماح البرنامج النووي الإيراني.

علاوةً على ذلك، نجحت إيران في توظيف الأخطاء الأميركية في الشرق الأوسط لمصلحتها. فغرقّ الولايات المتحدة في وحل العراق، وانفجاره في وجهها (2003 - 2011) أنهكها اقتصادياً، وعسكرياً، وإستراتيجياً. وهكذا، تحوّل العراق إلى عامل استنزاف للقدرات الأميركية، وساهم في ارتسام قوتها عالمياً، بدلاً من أن يكون ذلك البلد رافعةً لإعادة تشكيل منطقة الشرق الأوسط وفق المنظور الأميركي. أمّا إيران التي كانت في قائمة "المحافظين الجدد" هي الهدف الموالى، فقد أضحت طرفاً مرجوًّا ضمن سياق الحلّ الأميركي، خصوصاً بعد أن ألقى الغزو الأميركي العراق في أحضانها.

أضف إلى ذلك تورط أميركا في الحرب على "الإرهاب"، وتورطها كذلك في أفغانستان، والتدهور الاقتصادي المرتبط بذلك كلّه، وصعود قوى إقليمية في أميركا اللاتينية، ودولية؛ كالصين وروسيا، واستفادة جميع هذه القوى من الانهماك الأميركي في مغامرات عسكرية مجنونة. فكلّ هذه الأوضاع أدّت إلى تراجع القدرة الأميركية عن فرض ما تريده دولياً، ولم يكن الشرق الأوسط بعيداً من تراجع هذه القدرة، خصوصاً بعد انسحاب الولايات المتحدة من العراق عام 2011، وقد ارتبط ذلك بانطلاق الثورات في عدد من الدول العربية منذ أواخر عام 2010، ولا سيما أنّ هذه الثورات عصفت ببنى أنظمة، سواء كانت حليفةً للولايات المتحدة أو غير حليفة لها.

حينئذ، اكتشفت الولايات المتحدة محدودية تأثيرها في الشرق الأوسط ضمن نسقه الحديث، في وقت تعطلّ فيه توجهها للانسحاب بالتدريج من المنطقة؛ نتيجةً لزيادة تركيزها في "آسيا الهادئة". وهكذا، بقي الشرق الأوسط معضلةً في الحسابات الإستراتيجية الأميركية؛ فلا هي تملك النفوذ نفسه الذي حظيت به عقوداً طويلةً، ولا هي تُرْمَع الانسحاب منه. علاوةً على ذلك، فإنّ الولايات المتحدة التي لم تكن وراء الثورات العربية، لم تستطع أن تتأى بنفسها عن هذه الثورات؛ إذ حاولت ركوب موجتها وتوجيهها، بل حتى التلاعب بها، لئلا تُشكّل الخريطة الثقافية والفكرية والجيوسياسية فيه بعيداً من تأثيرها. فأدّى ذلك إلى غرقها في ملفات المنطقة، ولكن من دون



أن تكون صاحبة القول الفصل فيها. وهذه الأوضاع كلّها ضاعفت استنزاف القدرات الأميركية، على الرغم من توجه إدارة أوباما إلى تخفيف هذه التكلفة الإستراتيجية الباهظة.

ضمن هذه المعطيات، كان لا بدّ لصانع القرار الأميركي من أن يُعيد النظر في مقارنته للمنطقة، آخذًا في الحسبان تراجع القدرة الأميركية عن التأثير دوليًا وشرقًا أوسطيًا. وهكذا وجدت إيران نفسها، وهي التي كان يُنظر إليها أميركيًا على أنها شوكة في الخصرة، في قلب المُواعَمات الأميركية الجديدة في المنطقة، وقد ضاعف أهميتها تفاقم الصراع في سورية وسمود نظام الرئيس بشار الأسد؛ من جزاء دعم روسي -إيراني سخيّ، وإسناد صيني، فضلًا عن تحوّل سورية إلى ساحة صراع إقليمي ودولي بالوكالة. وقد ارتبط ذلك كلّه بحقيقة مفادها أنّ العقوبات الخانقة التي فرضتها الولايات المتحدة على إيران لكبح جماح برنامجها النووي، ومحاولات تعطيله الحثيثة، بالاشتراك مع إسرائيل، لم تؤدّ إلى إيقاف ذلك البرنامج.

في المقابل، لم تكن إيران في وضع أفضل. فمستوى العقوبات الاقتصادية التي فرضتها إدارة أوباما على قطاعي الطاقة والبنوك فيها غير مسبوق، وقد مسّت حياة المواطن الإيراني العادي مباشرةً، وهو ما قد يُنذر بثورة عارمة يمكنها أن تهدّد استقرار النظام. يُضاف إلى ذلك أنّ إيران المستنزفة في سورية، والعراق، واليمن، أصبحت في وضع لا يسمح بمزيد من العناد، خصوصًا في ظلّ وطأة العقوبات وتكلفة التورط الإقليمي.

من أجل ذلك كلّه، وجد الطرفان أنّهما يواجهان واقعًا صعبًا ومعقدًا لن يكون فيه غالب ولا مغلوب. وبيدو، إلى حدّ الآن، أنّ العرب هم الخاسر الوحيد. وهم على عكس إسرائيل، لا يملكون مظلةً نوويةً حمائيةً ذاتيةً، وفي الوقت نفسه لا يمكنهم الوثوق بوعود "الحليف" الأميركي.